

في الأرواح الإنجليزية

٢- الكائنات الغيبية

في شعر شكسبير

The Supernatural

بقلم خيرى حماد

يجب علينا فهم هذه الروح في شعر شكسبير أن نطلع على الحالة العقلية التي كانت تسود عصره والمصور التي سبقته . قال كلارك : « لقد كان هناك عدد عظيم من المحدثين والشككيين وجدوا في عصرهم كان بمثابة الخطوة الأولى في ترقية العلوم المعروفة لدينا الآن . فقد كان تلاميذ كوبرنيكس الفلكي يتساءلون ويتجادلون في كل ما عرف من النظريات الفلكية من قبل ، وكان هناك نفر آخر من الكيميائيين دحضوا حجج مدعي الكيمياء القديمة ، ولكن هذا النضال لم يكن مقتصرًا على جماعة المحدثين ، بل وجد هناك نفر آخر من القدماء التقليديين الذين كانت أقصى غايتهم مقاومة هذا التيار الجارف . وإن من الغرابة أن نجد الملكة اليباباتي تستشير النجميين والسجاليين في تعيين الوقت المناسب للاحتفال بتتويجها ملكة على انكلترا » (١)

ومن حزن حظ العلم قيام عدد من المفكرين أثبتوا فساد كثير من النظريات القديمة المألوفة فبزغ نجم رينولد سكوت (Reginald Scott) لما هاجم عدداً من العقائد الدينية المألوفة ، ولم يقتصر هذا التجدد على المفكرين من رجال العلم بل تمداه إلى رجال الكنيسة أنفسهم فظهر هناك من رجال الكهنوت عدد حاول إصلاح الديانة مما طرأ عليها من الخرافات والأباطيل

أما الخرافات فكانت تسيطر على جميع مناحى الحياة في ذلك العصر . فكان السحر بطرقه المختلفة مهنة تمشيها النساء اللواتي كانت تلب عليهن صفة الذبول والكبر وبشاعة المنظر . وكان معظم هؤلاء النسوة من الشريرات القذرات ممن كان أقصى غايتهم ايقاع الضرر وبذر المساوي في المجتمع البشري . غير أنه وجد

في نفس العصر بعض ساحرات كان همهن شفاء المرضى والقيام بخدمات حسنة للمحتاجين والمهددين بالأخطار

قام الناس على اختلاف طبقاتهم يناوون السحر والسحرة فهاجوا الساحرات في عقر دورهن وكانوا يأخذونهن واسفات في الاغلال إلى السجون حيث ينتظرن عما كتهن أمام مجلس من القضاة الذين كرهوا السحر وما يأتي به أمثال هؤلاء الشريرات من موبقات وآثام . فكانوا يمدونهن بأشد أنواع المناب . فمنهن من ربطن إلى جذوع الأشجار حيث ذفن الموت جوعاً ، ومنهن من كان يطلب إليهن إعادة الصلوات قبل القائهن في النار المضطربة

وكان من السائد على أهل ذلك العصر أن ينظروا إلى السحرة كأنهم على اتصال بالشیطان . قال كلارك في كتابه : « ان من أبغض الأمور التي كان يتعاطاها السحرة في عصر اليبابات وما قبله ذلك النوع من السحر الذي كان يعرف بالعين الشريرة (Evil Eye) فكان من جملة معتقداتهم أن في استطاعة الساحرة أن توقع الضرر أو تमित الناس بمجرد القائها عليهم نظرة من نظراتها النارية ؛ فهذا العمل الذي كان يعتبر من أشد أنواع السحر ضرراً هو بمثابة الحجر الأسامي في بناء علم التنويم المغناطيسي المعروف لدينا الآن » (١)

وكان هناك نوع آخر من السحرة أقل ضرراً وخطراً ، ذلكم هو نوع المرافين أو النجميين الذين كان الناس يقصدونهم كما يقصدون قارئ الكف في يومنا هذا . فكانوا يوهمون قاصديهم باتصالهم بالسماء والمالم العلوي فيقرأون المستقبل في الماء والهواء ، في النار والدخان . وكثيراً ما كانوا يضطرون إلى استشارة أرواح الأموات أو تأويل صياح الديكة في تفسير ما يروونه من حقائق وأحلام

أما المغاريت فكان الناس يؤمنون بوجودهم الايمان كله ، وما هم إلا بقايا الأشخاص الخرافيين الذين عاشوا في عصر من العصور السالفة وأصبح في استطاعتهم بعد ذلك أن يهيمنوا على الانسان فيحولوا أعماله حسب ما يريدون وانى يشاءون . نعم كان هذا الاعتقاد سائداً لدرجة أن أصبحت الكنيسة تعلم أبناءها

(1) Clark. Sh. & the Supernatural P. 39

(1) Clark. Sh. & the Supernatural P. 21

أن كل ما هو غير مرئى حقيقة لا شك فيها ولا تقض ، ولم تكن الخرافات في عصره قد حوول مهاجتها محاولة صادقة . نعم كان الاصلاح الدينى قد أخذ في الانتشار في البلاد الانكليزية إلا أنه كان مقصوراً على المدن . أما القرى فلم تكن قد تأثرت بهذا الاصلاح أى تأثير

عاش شكسبير في عصر اضطربت فيه العقائد وتضاربت فيه الآراء ، فاعتقد بعض الرجال التملين اعتقادات كانت بميدة كل البعد عن عقول غيرهم من الناس ؛ وإن من حسن الحظ أن شكسبير يحاول في بعض رواياته أن يظهر لقارئه عقائده وآراءه الشخصية . فهو يعتقد في الخرافات ، ولكنه يتباهى عن أصلها وكيفية ظهورها ، فهو يقول على لسان الأمير هملت : « هل من الممكن أن نحسب ذلك الشخص الذى بقضى أوقاته كلها في الأكل والنوم رجلاً ؟ كلا إنه لا يتعدى أن يكون حيواناً فقط . إن من المؤكد أن ذلك الآله الذى وضع فينا قوة المجادلة والتمييز بين ما نعمله وما لا نعمله لم يضع فينا هذه القدرة لنتركها دون أى استعمال أو ممارسة ، أما الآن فسيان عندي إن كان هذا الفكر مجرد وهم أو غموض سبوى . فالفكر لا يحوى في حد ذاته إلا جزءاً من أربعة من الحكم والصواب ، بينما اجزاؤه الثلاثة الأخرى لا تخرج عن كونها من عوامل الجبن والخوف ، فلا يمكنني الجزم فيها إذا كنت قد خلقت لأقول مجرد القول في أن هذه الأمور يجب على أن أعملها ، في حين أنى قد أوتيت القوة والارادة والحق في عملها والقيام بها » (١)

إن من الصعب على الشاعر أن يستطيع البحث في موضوع سبوى بطريقة جديدة تركز على تفكير وبحث عميقين دون أن يكون له أدنى اعتقاد في هذه الامور التى يبحث فيها ؛ وبمنظرة عميقة لروايات شكسبير يمكنك أن تحصل على نتيجة لبحثه في مثل هذه السائل . وقد قال روف (Roffie) في كتابه (شكسبير وعقيدته في الأشباح) : « لم يستطع شكسبير أن يجعل أشخاص رواياته ينطقون عن عقائده ، ولكنه استطاع أن يظهرها في رواياته »

ميرى ممد

(يتبع)

أن لكل رجل في هذا العالم رفيقاً من عالم آخر يحميه ويقيه غائلة الشر

وكان هنالك نوع آخر من الخرافة هو عالم الأشباح والخيالات . فما الشبح إلا روح غادرت جسدها المائت وانتقلت من عالم الأموات إلى عالمنا هذا ترفرف في الفضاء لتحقيق غاية من النيات شريرة كالانتقام والقتل ، أو خيرة كحماية البشر وصد الآلام عنهم . أشباح مرئية وأشباح غير مرئية تحلق بأجنحتها في الفضاء فتملأ العالم خيالات لا يحصر عددها ولا يعرف مقدارها

عصر كله خرافات تتسلط على عقول أبناء الأوهام ، ذلكم هو عصر البصايات الذى يصفه كلارك بقوله : « على رغم أن ذلك العصر كان عصر براءة وتمهيد للمعلوم المعروفة لدينا الآن ، إلا أن معرفة الحقيقة والطبيعة لم تكن متقدمة للدرجة التى يستطيع بواسطها القضاء على الخرافات السائدة ؛ فكان الناس يؤمنون بالسحرة والدجالين ، بالفلكيين والمنجمين ، بالخوريات والجنيات ، بالرق والمزائم ، بالأحلام والاتصال بالأرواح . هذا الاعتقاد السائد كان أكبر عامل في وجود هذه العوالم في روايات المؤلفين الذين لم يستطيعوا بأى حال من الأحوال أن يخرجوا عن محيطهم وبيئتهم » (١)

شكسبير والعقائد العامة :

شأن الشاعر أن يدون في شعره كل ما كان معروفاً في عصره بين العقائد العامة ، وهكذا كانت حال شاعرنا شكسبير ، فقد عرف تمام المعرفة أن الخرافات القديمة كانت مواضع خلابة استعملها شعراء الاغريق والرومان في صوغ عباراتهم وتفسير معانيهم ودقائقهم . ولم تكعد المصور القديمة تنطوى في عالم السجلات والتاريخ حتى ظهر هناك عالم خرافى جديد كان في حد ذاته خليفة للمصور التى سبقته ، ذلك العصر هو عصر القرون الوسطى التى لم يستطع الشعراء الاستثناء عن خرافاتها في لغتهم بما نقله السلف عن سبقهم

وما لاشك فيه أن شاعرنا قد تأثر بمدد غير قليل من العوامل : كالجنس والمحيط والبيئة ، فكان أفراد جنسه « يعتقدون

(1) Hamlet IV 4. 40-46

(1) Clark. Sh. & the Supernatural P. 33